مفهوم التكامل المعرفي وآليات تشغيله

المستخلص: يحصل الآن في حاضر الأمة المسلمة مثل الذي حصل في تاريخها حين شهدت الدولة العباسية تحولات قوية جدا، وانفتاحا معرفيا واسعا غير متحكم فيه نتيجة الغزو الثقافي، هذا الجو أدى إلى تحولات عقائدية وفكرية ومذهبية خطيرة جدا؛ فظهرت أفكار جديدة لا علاقة لها بمرجعية الأمة وتاريخها وحتى واقعها اليومي المعيش، فَطُرِحت قضايا متعلقة بالعقيدة والسلوك والأخلاق، مزقت وحدة الأمة المسلمة وفككت حقلها المعرفي وشوشت مفاهيمها.

يبرز إلى السطح المصطلح المركب "التكامل المعرفي" ليُفَعِّل الحقل المعرفي ويُكَامل بين عناصره المفككة ويربط الأمة المسلمة بمرجعيتها، ويعيد بناء هويتها.

يهدف البحث إذن إلى الوقوف عند هذا المصطلح المركب "التكامل المعرفي" وتتبع مفهومه، والكشف عن آليات تشغيله في النسق الثقافي والحقل المعرفي.

The concept of knowledge complementarity and the mechanisms That makes it work.

The summary

What is happening today to the present of the Islamic nation is similar to what happened to it in its history when the abbassi nation saw pertinent changes and a big scientific development which was not mastered due to the cultural invasion.

This led to very dangerous religious, mental and cultural changes.

Therefore, new ideas appeared not associated neiher with the principles of the nation nor with its history and not even with its daily life.

So new problems related to religion, behaviour and ethics came to existence and damaged the unity of the Islamic nation and destroyed its scientific field as well as its principles.

The term "knowledge complementarity" emerges to make the scientific field operational and complement its detached elements and relate the islamic nation to its origins as well as restore its idenity.

This research ,then , aims at checking the significance of this new terminology "knowledge complementarity" and try to find the mechanisms that makes it work in the domains of both knowledge and culture.

الكلمات المفتاحية: التكامل، المعرفة، التكوثر، التشغيل، المجال التداولي

مقدمة

استفاد الغرب من ثقافتنا في ماضيه وحاضره؛ حين فتحت أمتنا بابها على مصراعيه مرتين، ودخل كل شيء عاريا إلينا؛ مرة في العصر العباسي حين أُسِّسَ بيت الحكمة ببغداد وجُلبت إليه كتب الثقافات المجاورة خاصة اليونانية وترجمت بمحض إرادة أسلافنا واختيارهم، لأن الخلافة ما تزال قائمة، والأمة ما تزال ممسكة بزمام الحضارة.

ومرة فُرض علينا فتح باب الأمة رغم أنوفنا، لأن زمام الحضارة بأيدي غيرنا، ولأن أمتنا مشتتة إلى دوليات منذ حوصرت الخلافة العثمانية وتم إلغاؤها.

ففي المرة الأولى أنفق الخلفاء الأموال الطائلة من أجل نقل علوم وفلسفات الحضارات المتاخمة خاصة المنطق الأرسطي وكتب الفلسفة والطب اليونانيين والحساب "سند هند الكبير".

وفي المرة الثانية سواء شعرنا أو لم نشعر فإننا أنفقنا ومازلنا ننفق الأموال لدراسة التراث الغربي، بل نتسابق في نقل آخر فكرة كما يتسابق الشباب في نقل آخر صيحة في الموضة وتسريحات الشعر.

صحيح أن عقل الإنسان لا يستطيع أن يفكر وأن يستدل بدون أن يكون له منهج معين يقوم عليه فكره وحركته، ولا نستطيع أن ننكر أنه كان للفكر اليوناني وهو يحاول تفسير ظواهر الوجود تفسيرا فلسفيا منهج اكتملت قواعده مع أرسطو، لكن لا يجب أن ننسى أن هذا المنهج حين أخذناه كما هو تسبب فيما تعرفونه جميعا.

هل مصطلح "التكامل المعرفي" وليد البيئة االثقافية المسلمة؟ أم هو نتاج مفروض من الثقافات الأخرى، وانعكاس للاستعمار الجديد "العولمة"؟

هل لنا الحق في اختيار مفاهيمنا ومصطلحاتنا، وحتى اتجاهاتنا الفكرية؟ وهل لنا الحرية في ذلك؟ بل هل مستوانا العلمي والفكري مؤهل لذلك؟

هل هذا الواقع هو واقعنا والآمال آمالنا؟ هل المجتمع والتاريخ يسير وفق ما نخطط ونأمل؟

ما هي الحمولة العلمية والمعرفية التي يتضمنها هذا المصطلح المركب "التكامل المعرفي"، وهل نتج من واقعنا وبيئتنا وحركة تاريخنا، وبمحض إرادتنا؟

هل لهذا المصطلح أصول في حوضنا المعرفي؟ أم أنه مستعار من الحوض المعرفي الغربي، فرضه البراديغم الغربي بحوضه المعرفي، المتمركز حول المرجعية اليهودية المسيحية التي تتطلع إلى صهر كل ثقافات العالم في ثقافتها؛ فكر واحد، سلوك واحد، نمط واحد؟

هل فعلا يمكن التكامل بين الحوض المعرفي الغربي وبراديغمه الذي يوجه الحضارة؟ ويمسك بزمامها، وبين الحوض المعرفي المسلم ورؤيته التوحيدية؟

هل شعرنا فعلا بضرورة تكامل فروع العلم؟ هل شعر الطبيب بالقصور الموجود في مهنته، والنقص الذي يتخلل مفاهيمها؟ وهل شعر فعلا بالحاجة إلى فروع العلم الأخرى؟ وهل شعر الفيزيائي بالنقص الموجود في علمه نتيجة انفصاله عن الرياضيات وفروع العلم الأخرى؟ وهل شعر المتخصص في الرياضيات أنه يدرس الزمنين التاريخي والإلهي من خلال اللانهاية؟

صحيح نتحدث عن التكامل المعرفي لكن في أي حوض معرفي؛ الحوض المعرفي المسلم أم الحوض المعرفي الغربي؟ فالعلم أوسع من المعرفة في الحوض المعرفي المسلم، والمعرفة أوسع من العلم في الحوض المعرفي الغربي.

قبل أن نتحدث عن التكامل المعرفي نحدد أولا مختلف الشعب العلمية التي كونت دائرة المعارف لأمتنا، ثم نقوم بمراجعتها في مبادئها ومفاهيمها ومناهجها وأهدافها، لتصفيتها من الشوائب التي علقت بها نتيجة تداخل الحوضين المعرفيين، ثم نقوم بتشعيبها والزيادة عليها، هكذا يحصل التكامل بين الشعب العلمية لأنها في الأصل علم واحد.

أما البراديغم الغربي فإنه يراكم المعرفة من خلال الصيانة والزيادة فتكبر كتلة المعرفة وهي مجزأة (البراديغم الذري والبراديغم الكلياني).

هل وصلنا فعلا إلى مرتبة معرفية تجعلنا نفكر في تكامل شُعب العلوم "التكامل المعرفي" أم أننا يجب أن نهتم بتكامل أفراد الأسرة، ثم لم شمل المجتمع المفكك الذي تفككت شبكة علاقاته الاجتماعية منذ أمد بعيد؟ أم يجب أن نهتم بالتكامل الجغرافي لأن الغرب مارس أبشع طرق "الاستفراق" (فصل الإنسان عن الجغرافيا) بعد أن مارس أبشع طرق "الاستدمار" و"الاستحمار" و"الاستغراب"، لقد قلب جغرافية دولنا وأمتنا بطنا لظهر، وخطط لكل شيء؛ العواصم ومنابع الثروة وحتى الطاقة البشرية؟ هل ألقينا نظرة مقارنة بين عواصمنا وعواصمهم (لندن، وباريس، وبروكسل.. وغيرها) عواصمهم التي بناها الغرب بسواعد أبنائنا، والثروات التي أمتصها من أوطاننا؟.

هل فعلا شعرنا أنه حان الوقت أن ندرك كلنا –كل إنسان منا من موقعه– يجب عليه أن يحمل هم الدولة والوطن والأمة، وأن يخطط لهما وأن يصبح هذا الهم جزء من خبزه اليومي؟

إشكالية البحث: تنطوي إشكالية البحث على سؤال جوهري ومشكلات فرعية؛ أما السؤال الجوهري؛ ماهو المحور الأساسي الذي يربط أجزاء المعرفة ببعضها ويؤلف بينها في صورة متكاملة ؟

وأما المشكلات الفرعية؛ ما مفهوم التكامل؟

ما هي المعرفة؟

ما مفهوم المصطلح المركب "التكامل المعرفي"؟ وما هي مشروعيته؟

ما هي الآليات التي يمكن اعتمادها في تفعيل وتشغيل هذا المصطلح المركب، في الحقل المعرفي والنسق المفاهيمي للأمة المسلمة؟

أهمية البحث: أولا: المعرفة هي العنصر الأساسي لبناء الحضارة الإنسانية، فلا حضارة دون حقل معرفي قائم وفاعل.

ثانيا: يرجع فشل التجربة الثقافية الغربية في توجيه الحضارة الإنسانية إلى عنصر جوهري يتمثل في التفاضل المعرفي وفصل الميادين المعرفية عن بعضها البعض.

ثالثا: نجاح التجربة الإسلامية في مرحلتها الأولى (الحركة النبوية وما بعدها) في توجيه الحضارة الإنسانية من خلال تحقيق التكامل المعرفي.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى: الكشف عن حقيقة المصطلح المركب "التكامل المعرفي" من خلال البحث في أصوله اللغوية وجذوره العقدية وتتبع سيرته الذاتية تطورا وتاريخا ومآلا وتحديد موقعه ضمن خريطة المفاهيم في الحقل المعرفي والنسق الثقافي.

كما يهدف إلى البحث في الآليات الكفيلة بتشغيل هذا المفهوم في الحقل المعرفي للأمة المسلمة، لتحقيق الوحدة المعرفية وبالتالي توجيه الحضارة الإنسانية التوجيه الصحيح.

الأسباب الدافعة للبحث: وقد وقع اختياري لهذا البحث للأسباب التالية:

المعرفة إسلامية في منطلقها، إسلامية في منهجها، إسلامية في توجهها، وإسلامية في أهدافها وغاياتها، فهي تتميز بالتكامل في جوهرها وطبيعتها، غير أن التجربة الثقافية الغربية في مختلف مراحلها بداية بالفلاسفة الطبيعيين الأوائل والمدرسة الذرية في الفكر اليوناني، أسست للتفاضل المعرفي الذي انعكس في ما بعد على جميع المجالات.

الانعكاسات الواقعية للتفاضل المعرفي؛ تشتيت الوحدة البشرية وكثرة الحروب والتمييز العنصري... تدفع إلى تكريس كافة الجهود لتحقيق التكامل المعرفي.

منهج الدراسة: اعتمدت في هذا البحث عدة مناهج وآليات أهمها:

المنهج التحليلي الاستنباطي: وذلك حين تعلق الأمر باستخراج آليات التشغيل في الحقل المعرفي والنسق الثقافي.

المنهج المقارن: الذي وضفته كلما دعت الضرورة إلى المقارنة بين التجربتين الحضاريتين التجربة المسلمة والتجربة الغير مسلمة.

المنهج الاستقرائي: وذلك إذا تعلق الأمر بفحص قضايا الواقع وتحليلها واستخراج بعض السنن الضابطة لسيره.

أما بالنسبة للآليات: فاستعملت آلية التعريف وإعادة التعريف حين تعلق الأمر بإعادة بناء المفهوم، وآلية التعريف بالمقابلة وآلية التعريف بالحد في ضبط المفاهيم وتحديدها.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة؛

المبحث الأول تناول أوليات حدد فيها طبيعة المعرفة وحقيقة التدافع المعرفي والحضاري بين الاتجاه المسلم الذي يدعو إلى التكامل والاتجاه غير المسلم الذي يدعوا إلى التفاضل المعرفي، ثم الوقوف عند مختلف الحقب المعرفية الكبيرة.

المبحث الثاني حاول تتبع مفهوم التكامل ثم مفهوم المعرفة ثم حاول البحث في مشروعية المصطلح المركب "التكامل المعرفي" وتتبع مختلف دلالاته، محاولا بذلك الخلوص إلى مفهوم يقارب التعريف المنطقي.

المبحث الثالث اختص بدراسة آليات تشغيل مفهوم التكامل المعرفي في الحقل المعرفي والنسق الثقافي.

أما الخاتمة فقد اختصت بعرض النتائج المتوصل إليها في هذا البحث المتواضع.

المبحث الأول: مفهوم التكامل المعرفي

أولا: مفهوم التكامل: في اللغة العربية: التكامل مشتق من الفعل الثلاثي المجرد "كَمَلَ"، قال ابن منظور: ((كمل، الكمال: التمام، وقيل التمام الذي تجزأ منه أجزاؤه... وأكملت الشيء: أي أجملْته وأتممته... وكمَّله: أتمَّه وجمَّله... وأكملت لكم: كفيتكم وأعطيتكم فوق ما تحتاجون))[1].

التكامل من كَمَلَ، ((التي تعني أتمَّ وجمَّل))[2]

والتمام من تمَّ، ((وتمَّ الشيء جعله تاما... وتمّ: حفظه من الآفات وكفيَّه... وأتمَّ الشيء: عمل به... ويقال تمَّ إلى كذا وكذا: أي بلغه... وتمَمَ على الأمر: استمر عليه... وتتامَّت إليه: أي أجابته وجاءته متوافرة متتابعة... وأتمَّ الشيء: أدى كل ما فيه... وليل التمام: أطول ما يكون من الليل... ولدته للتمام: إذا ألقته وقد تم خلقه...))[3]

فالتكامل في اللغة العربية: يقتضي وجود مجموعة من العناصر، وهذه الأخيرة تمثل أجزاء، وهذه الأجزاء يتخللها النقص إذا نُظر إليها منفردة، وتعويض النقص يقتضي الاجتماع بالأجزاء الأخرى، حتى تُحفظ من الآفات وتحقق الاكتفاء، وهذا الاتصال يقتضي عمل تحكمه قوة وجهد، واستمرار وتتابع، فكل جزء يجيب دعوة الأجزاء الأخرى ويُقبل عليها ويوفِّر لها ما تحتاجه، وكلما طال الزمن أدى كل جزء ما فيه وحقق وظيفته فتتحقق ذاته ويتحقق التكامل.

في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا**﴾ (المائدة: 3)

﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (الأنعام: 115)

﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ**﴾ (الأعراف: 137)

﴿**إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ (هود: 119)

﴿**قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ (القصص: 27)

قال ابنُ كثير رحمه الله: "هذه أكبرُ نِعَم الله تعالى على هذه الأمَّة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينَهم، فلا يحتاجون إلى دينٍ غيره، ولا إلى نبيٍّ غير نبيِّهم – صلَوات الله وسلامُه عليه – ولهذا جعله الله تعالى خاتمَ الأنبياء، وبعَثَه إلى الإنسِ والجنِّ، فلا حلالَ إلاَّ ما أحلَّه، ولا حرام إلاَّ ما حرَّمه، ولا دين إلاَّ ما شرعَه، وكلّ شيء أخبرَ به

1- ابن منظور: ابن منظور: لسان العرب، دط، دار المعارف، القاهرة، دت، ص3930.

2- القاموس المحيط، ص1054.

3- ابن منظور: ابن منظور: لسان العرب، دط، دار المعارف، القاهرة، دت، ص447-449.

فهو حقّ وصدق لا كذب فيه ولا خُلف، كما قال تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً**﴾ (الأنعام: 115)؛ أي: صدقًا في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنَّواهي، فلمَّا أكمل لهم الدّين تمَّت عليهم النِّعْمة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا**﴾؛ أي: فارضوه أنتُم لأنفُسِكم، فإنَّه الدّين الَّذي أحبَّه الله ورضِيَه، وبعث به أفضل الرُّسُل الكرام، وأنزل به أشرفَ كتُبِه[1].

أكمل الأمر أنهاه بالتدريج وعلى مراحل وفترات متقطعة لهذا قال الله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ وقال أيضا ﴿**ولتكملوا العدة**﴾ لأنه يجوز لهم قضاؤها على فترات متقطعة وقال: ﴿**أكملت لكم دينكم**﴾ لأن القرآن نزل على فترات متقطعة دامت 23 سنة.

﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (البقرة: 185)

أما أتم الأمر أي أنهاه مرة واحدة دون انقطاع، ولذاك قال تعالى ﴿**ثم أتموا الصيام إلى الليل**﴾ لأن الصوم يجب أن يكون متصلا طول النهار دون انقطاع، وقال: ﴿**أتممت عليكم نعمتي**﴾ إشارة إلى أن نعمة الله لا تنقطع أبدا. ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**﴾ (البقرة: 196)

﴿**ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾ (البقرة: 187

﴿**فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ (التوبة: 4)

((التتميم يرد على الناقص فيتمه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله، إذ الكمال أمر زائد على التمام، والتمام يقابل نقصان الأصل، والكمال يطابق نقصان الوصف بعد تمام الأصل، ولهذا كان قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ**﴾ (البقرة: 196)، أحسن من (تامة)، لأن التمام من العدد قد علم، وإنما احتمال النقص في صفاتها.

وقيل: الكمال: اسم لاجتماع أبعاض الموصوف، والتمام اسم للجزء الذي يتم به الموصوف، وتم على أمره: أمضاه وأتمه.

وأتِمَّ على أمرك: أي أمضه، ومنه حديث ((تم على صومك))))[2]

((الكمال: هو ما يكون عدمه نقصانا يستعمل في الذات والصفات والأفعال، وهو الأمر اللائق للشيء الحاصل له بالفعل سواء كان مسبوقا بالقوة أم لا، -كما في حركات الحيوانات، أو غير مسبوق كما في الكمالات الدائمة الحصول والحركات الأزلية على رأي الحكماء-.

والكمال ينقسم إلى منوع وهو ما يحصل النوع ويقومه كالإنسانية، وهو أول شيء يحل في المادة.

1- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، م س، ج5، ص246.

2- الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، ص296.

وغير منوع وهو ما يعرض للنوع بالكمال الأول كالضحك ويسمى كمالا ثانيا، وهو أيضا قسمان:

أحدهما: صفات مختصة قائمة به غير صادرة عنه كالعلم للإنسان مثلا.

والثاني آثار صادرة عنه كالكتابة مثلا.

وأعلم أن الإنسان على ثلاثة أصناف: ناقص وهو أدنى الدرجات وهم العوام، وكامل وهو قسمان: كامل غير مكتمل وهم الأولياء، ولو وجد التكميل للبعض فإنما يكون ذلك بالنيابة لا على الاستقلال، وكامل في ذاته مكتمل لغيره وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ثم الكمال والتكميل إما أن يكون في القوة النظرية أو في القوة العملية، وأفضل الكمالات النظرية معرفة الله تعالى وأشرف الكمالات العملية طاعة الله تعالى، وكل من كانت درجاته في هاتين المرتبتين أعلى كانت درجات ولايته أكمل، وكل من كانت درجاته وتكميله بالغير في هاتين المرتبتين أعلى وأكمل كانت درجات نبوته أكمل))[1]

ويتضمن التكامل المفاهيم المقاربة التالية: التكميل: اسم لعمل يستعمل في علم الجبر والمقابلة مقابل للرد، التلاقي: وهو قسم من التخالف، والملاقاة بين الشيئين، إن كان بالتمام، بحيث إذا فرض جزء من أحدهما، أنفرض بإزالة جزء من الآخر، فيتطابقان بالكلية يسمى بالمداخلة، وإن لم يكن بالتمام بل بالأطراف يسمى مماسة، التمثيل: إثبات حكم في جزئي لثبوته حكمه في جزئي آخر لمعنى مشترك بينهما مؤثر في ذلك الحكم، والمراد بالجزئي، الجزئي الإضافي، والأظهر أن يقال: إثبات حكم لأمر لثبوته في آخر لعلة مشتركة بينهما. التمثيل: هو المؤلف من قضايا تشتمل على بيان مشاركة جزئي لجزئي في علة حكم ليثبت ذلك في ذلك الجزئي، ويسميه الفقهاء قياسا، والجزئي الأول فرعا والثاني أصلا والمشترك علة وجامعا، التأليف: لغة إيقاع الألفة بين شيئين أو أكثر، وعرفا مرادف التركيب، وهو جعل الأشياء بحيث يطلق عليه إسم الواحد، وقد يقال التأليف جمع أشياء متناسبة، ويُشعر به اشتقاقه من الألفة فهو أخص من التركيب

الاستعارة: هي أخذ الشيء بالعارية، والاستعارة الحقيقية هي أن يكون المستعار والمستعار منه ثابتين ومعلومين

الاستقراء: لغة هو التتبع، استقريت الشيء إذا تتبعته، وعند المنطقيين؛ قول مؤلف من قضايا تشتمل على الحكم على الجزئيات لإثبات الحكم الكلي (الكشاف ص172).

الاستقصاء: هو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا كقوله تعالى: **﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهار لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ الآيات لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾**(البقرة: 266)))[2]. فإنه لم يكتفي

1- الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، ص772.

2- الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، ص150.

بـ﴿جنة﴾ بل قال في تفسيرها ﴿من نخيل وأعناب﴾ ثم زاد ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ متمما لوصفها بذلك، ثم أكمل وصفها بعد التتميمين فقال: ﴿له فيها من كل الثمرات﴾، فأتى بكل ما من إمكانه أن يكون في الجنان. ثم قال في وصف صاحبها: ﴿وأصابه الكبر﴾، ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ﴾ ولم يكتفي حتى وصفها بـ﴿ضعفاء﴾، ثم ذكر استئصال الجنة التي ليس بهذا المصاب غيرها، بالهلاك في أسرع وقت حيث قال: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾، ولم يقتصر ذكره للعلم بأنه لا يحصل به سرعة الهلاك، فقال: ﴿فيه نار﴾، ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر باحتراقها لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا يفي احتراقها لما فيها من الأنهار، ورطوبة الأشجار فاحترس من هذا الاحتمال بقوله: ﴿فاحترقت﴾ فهذا أحسن استقصاء وقع في القرآن وأتمه وأكمله.

((فالاستقصاء يرد على المعنى التام الكامل، والتتميم يرد على المعنى الناقص))[1]

المفهوم الجامع المانع للتكامل

فالتكامل هو حركة تركيب وتنسيق مجموعة من العناصر، بمثابة أجزاء، يتخللها النقص إذا نُظر إليها منفردة، وتعويض النقص يقتضي الاتصال بالأجزاء الأخرى، وهذا الاتصال تحكمه آليات (التكميل والتلاقي والتمثيل، التأليف، والتحديد والمقارنة والاستعارة) وضوابط (الاستقراء والاستقصاء والتركيب والتنسيق) وروابط (والتوحيد هو الخط الرابط بين جميع الشعب العلمية).

ثانيا:مفهوم المعرفة

–في اللغة العربية: عَرَفَ الشيء: أدركه وعَلِمَهُ، وعرَّفه الأمر: أعلمه إياه، وعَرَّفَهُ بيته: أعلمه بمكانه[2]، فالمعرفة بهذه المعاني تدور في مجملها على الإدراك والعلم.

– أما في الاصطلاح الفلسفي: "المعرفة هي ثمرة التقابل والاتصال بين ذات مدركة وموضوع مدرك، وتتميز من باقي معطيات الشعور، من حيث أنها تقوم في آن واحد على التقابل والاتحاد الوثيق بين هذين الطرفين"[3].

– أما عند الجرجاني: "المعرفة هي إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل، بخلاف العِلم، ولذلك يسمى الحق تعالى: بالعالِم دون العارف"[4].

–أما محمد علي الفاروقي التهانوي فقد أورد في كشافه ثلاثة معان للمعرفة؛

1- الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، ص150.

2- ابن منظور: م ن، ص2897.

3- مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، دط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، (1403هـ-1983م)، ص186-187.

4- علي بن محمد بن علي الجرجاني: كتاب التعريفات، ط ج، دار الكتاب العربي، بيروت، (1423هـ-2002م)، ص186.

الأول: المعرفة بمعنى الإدراك سواء كان تصورا أو تصديقا "ولهذا قيل كل معرفة وعلم فإما تصور أو تصديق".

الثاني: المعرفة تعني؛ "إدراك البسيط سواء كان تصورا للماهية أو تصديقا بأحوالها، أما إدراك المركب سواء كان تصورا أو تصديقا، على هذا الاصطلاح فيخص العلم، فبين المعرفة والعلم تباين بهذا المعنى، فمتعلق المعرفة هو البسيط واحد، ومتعلق العلم وهو المركب متعدد".

الثالث: المعرفة هي الإدراك الأخير من الإدراكيين لشيء واحد، إذا تخلل بينهما عدم، بأن أدرك أولا ثم ذهل عنه، ثم أدرك ثانيا، فالمعرفة هي الإدراك الذي هو بعد جهل، ويعبر عنه أيضا بالإدراك المسبوق بالعدم والعلم يقال للإدراك المجرد من هذين الاعتبارين، بمعنى أنه لم يعتبر فيه شيء من هذين القيدين[1].

وبالنظر إلى هذه المعاني الثلاثة يتبين أن المعرفة هي إدراك قائم على الاستدلال ومسبوق بالعدم وقابل للذهول، لهذا يقال: الله تعالى عالِم ولا يقال عارف، إذ ليس إدراكه تعالى استدلاليا ولا مسبوقا بالعدم ولا قابلا للذهول.

-وفي مصطلح الصوفية: يعتقد المتصوفة أن هناك طريقين للمعرفة؛ الطريق الاستدلالي الغير مباشر والطريق الحدسي المباشر.

الطريق الاستدلالي: الاستدلال بفعل الله على صفته، وبصفته على اسمه، وباسمه على ذاته، أولئك ينادون من مكان بعيد، وهذه هي المعرفة الاستدلالية وهو الاستدلال بالآيات على خالقها، لأن منهم من يرى الأشياء فيراه بالأشياء، وهذه المعرفة على التحقيق إنما تحصل لمن انكشف له شيء من أمور الغيب حتى استدل على الله تعالى بالآيات الظاهرة والغائبة، فمن اقتصر استدلاله على ظاهر العَالَم دون باطنه فلم يستدل بالدليلين فتعطل استدلاله بالباطن وهي درجة العلماء الراسخين في العلم أو مقام التلوين.

الطريق الشهودي: تبدأ بمعرفة الله (الشهود) ومن خلاله يعرف أسماءه وصفاته، ومن هذه الأخيرة يعرف آياته الظاهرة، يتعرف على كتاب الكون المنظور، فالمعرفة الشهودية تنطلق من باطن الآيات إلى الآيات، وهذه هي درجة الصديقين وهم أصحاب المشاهدة لهذا قيل "العجز عن الإدراك إدراك" وهي مرتبة الإحسان أو مقام التمكين[2]، فالشخص الذي له مقام التلوين يكون له معرفة الصفات، والشخص الذي له مقام التمكين يكون له معرفة الذات، مثال سيدنا موسى عليه السلام عندما كان في مقام التلوين تطاول وقال: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾، فجاءه الجواب لن تراني.

وأما المصطفى صلى الله عليه وسلم، فكونه في مقام التمكين لم يتطاول بلسانه، ولم يطلب الرؤية، لهذا حظي بها.

1- محمد علي الفاروقي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ط1، تح؛ علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م، ص1583-1584.

2- التهانوي: نفسه، ص1584.

يتضح مما سبق أن المعرفة عند المتصوفة هي العلم الذي لا يقبل الشك، إذا كان المعلوم ذات الله وصفاته، فهي حياة القلب في مشاهدة الله عز وجل[1]، فكل إنسان تعلق قلبه بالله عز وجل غير ناظر إلى ما سواه، يقال أنه كامل المعرفة، قال أهل الإشارات: العارف من لا يشغله شاغل عن ذكر الله طرفة عين، قال الجنيد: العارف الذي نطق الحق عن سره وهو ساكت[2].

فإذا كانت الدلالة اللغوية تدور حول الإدراك والعلم، وكان الاصطلاح الفلسفي في التداول العربي قد ربط الإدراك بالذات المدرِكة والموضوع المدرَك، والجرجاني ألغى من الإدراك الجانب الإشاري وركز على الجانب العباري، وانتهى بذلك إلى أن العلم أوسع من المعرفة، والشيء نفسه —تقريبا– انتهى إليه محمد علي الفاروقي التهانوي، وطابق المتصوفة بين المعرفة والعلم في نهاية تحليلهم، فإن هذه الدلالات الاصطلاحية كلها مشتقة من الدلالة اللغوية ومنحدرة منها ومتفرعة عنها.

وإذا تم وصف عناصر الإدراك بلغة العصر —كما فعلت (كريس فريث)– فكان المخ أشبه بعتاد الحاسوب باعتباره خزانة المعلومات، والعقل هو البرنامج الذي يعالج المعلومات والبيانات وتحديد الاستجابة في إطار المخزون المتاح[3]، وأضفنا نحن —نحن هنا لا تعني ذات الباحث فقط وإنما تتعدى إلى الحقل التداولي والحوض المعرفي الإسلامي، وكأن هذه العملية هي عملية تأثيل على حد تصور طه عبد الرحمن– القلب إلى الحركة الإدراكية باعتبار أن القلب هو الذي يغذي العقل بمعلومات جديدة فيتكوثر[4] نشاط العقل، واعتبرنا أن الناتج من هذه الحركة الفكرية علما، جاز استبدال اللفظ "معرفة" باللفظ "علم" لأنه يحتويه ويتجاوزه، ولما كان العلم هو ناتج حركة التجميع والتركيب بين عناصر الإدراك دخل في مدلولاته مفهوم التكامل.

العلم في الحوض المعرفي المسلم يحمل في مفهومه معنى التكامل: العلم في الحوض المعرفي المسلم هو: ((هو التسلح بالقرآن الكريم والسنة النبوية وتدبر ودراسة آيات الآفاق والأنفس، أو العلاقات الخمسة؛ علاقة الإنسان بالله تعالى، وعلاقته بالغيبيات الأخرى، علاقته بنفسه، علاقته بالمجتمع، وعلاقته بالكون الفسيح، في إطار الرؤية التوحيدية، ويتشعب العلم بقدر تشعب هذه العلاقات الخمسة ولا توجد شعبة علمية أفضل من أخرى أو أهم منها لأن الكل يصب في التوحيد))

والعلم في الحوض المعرفي المسلم يحمل في طياته المعاني التالية: التكامل والتكميل، التآلف والتأليف، التتام والتتميم، التَّمثُّل والتمثيل، المقاربة والتقريب، الوحدة والتوحيد، الحقيقة والتحقيق، المصداقية والتصديق، الاستقصاء والاستعارة، الحد والتحديد، التحليل والتركيب، الرغبة والترغيب، الأخلاق والتخليق، الأنس والتأنيس، الحركة

1- التهانوي: م س، ص1584.

2- نفسه، ص1585.

3- أنظر:- كريس فريث: تكوين العقل كيف يخلق المخ عالمنا الذهني، تر:- شوقي جلال، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012م، ص18.

4- التكوثر: ((هو وجدان الكثرة الممكنة تحت الوحدة الظاهرة)) فالعقل محدود وحتى يتجاوز حدوده يرتبط بالوحي عن طريق القلب فيتجدد على الدوام فيكتسب خاصية الفعل والقصد حتى يكون لفعله معنى، وإذا قصد يجب أن يطلب الفعل النافع، راجع:- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998م، ص18-19، هكذا تنبثق المفاهيم الصحيحة من حركة الفكر.

والتحريك، التشعب والتشعيب، التحقق والتحقيق، التمكن والتمكين، التنسيق والتوظيف، الخبرة والاختبار، التماس والتلاقي، الصبر، المشقة، ..

أما العلم في الحوض المعرفي الغربي: ((فهو مجموعة من العلاقات والقوانين المكتشفة بالبحث التجريبي والتي يمكن التحقق منها والتي تعبر تعبيرا مباشرا عن العلاقات بين الظواهر، وتتعدد العلوم بتعدد الظواهر إنسانية طبيعية بيولوجية)). ويحمل في طياته المعاني التالية: التفاضل والتفضيل، التجزُّء والتجزيء، التشتت والتشتيت، الحصر والتحصير، الانغلاق والتغليق، المراكمة والتركيم، التقوقع، المادة والتمديد، البتك والتبتيك، التخصيص، التفريق، التمييز...

بهذا فإن المصطلح المركب "التكامل المعرفي" يمكن اختزاله في لفظ واحد، هو العلم، ثم القيام بتشعيبه وتفريعه وتوسيعه ومقارنه بالمفاهيم المقاربة، فتتولد شعب العلم التي تنصهر في بوتقة واحدة هي العلم[1].

ثالثا: مفهوم المصطلح المركب "التكامل المعرفي"

1-مفهوم التكامل المعرفي في مشروع إسلامية المعرفة

الشيخ فتحي حسن ملكاوي: أنجز محاولة كبيرة وقيمة تتبع من خلالها السيرة الذاتية لمفهوم التكامل المعرفي نشأة وتطورا وتاريخا ومآلا، وأستغرق أغلب المحطات في الحوضين المعرفيين الإسلامي والغربي، غير أنه يمكن الوقوف عند بعض النقاط المهمة في هذا التعريف:

1-جمع الشيخ فتحي حسن ملكاوي حفظه الله بين الحوض المعرفي الغربي والحوض المعرفي المسلم أثناء البحث عن الخصائص الجوهرية لمفهوم التكامل المعرفي وكأن الثقافة الإنسانية واحدة، فوقع بذلك في الخطأ الذي وقع فيه الفلاسفة العرب الذين نقلوا الفلسفة اليونانية ولم يأخذوا في الاعتبار خصوصية اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وهل حياة المفهوم إلا هذه الحركة في المدلولات الاصطلاحية التي يبعثها الوصل بين المخزون الدلالي والرصيد الثقافي داخل الحوض المعرفي الإسلامي.

2-بدأ الشيخ التأريخ لنشأة مصطلح "التكامل المعرفي" بقضية (اللورد سنو) الذي اكتشف الفجوة الهائلة بين المختصين فيما سمي بالعلوم الإنسانية والمختصين في العلوم الطبيعية، والأجدر هو الانطلاق في بحث المفهوم "التكامل المعرفي" من الدلالة اللغوية ثم بناء المدلول الاصطلاحي عليها وضعا وتوظيفا، ولا يقف عند هذا الحد بل

1- أنظر:- مقال رائع للشيخ محمد سعيد رمضان البوطي: العلم الحديث ومعرفة الغيب، مجلة حراء، العدد12، السنة3، (أيلول/سبتمبر)2008م، تركيا، ص10، يبين فيه المفهوم التداولي للعلم في حوضنا المعرفي.

يدخل في إنشاء فضاء فكري حوله من خلال حقله الدلالي، موازنا ومشعبا وموسعا، دون أن يخرج من الحوض المعرفي للثقافة الإسلامية، وكلما زاد تشعيبه كلما استغرق أكبر قدر من عناصر الثقافة داخل الحوض المعرفي.

3-أخذ الشيخ الدلالة الثقافية لمفهوم التكامل المعرفي على اعتبار أنها الدلالة الاصطلاحية، فرفع ما كان في الحوض المعرفي الغربي مدلولا لغويا إلى مرتبة المدلول الاصطلاحي في الحوض المعرفي الإسلامي فمزج بذلك بين الحوضين المعرفيين المسلم والغربي فامتزجت الثقافتين في مفهوم التكامل المعرفي، فاختلطت المعالم واضطربت الإحداثيات فانفصل مضمون التكامل المعرفي عن الواقع الثقافي والمعرفي للأمة.

4-غياب مفهوم القلب في معادلته الأخيرة للتكامل المعرفي رغم أنه هو محور التفاعل بين مصادر المعرفة الأخرى: ((ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله)).

5-اللغة لها علاقة بسعة الذهن وحركة الفكر: ((ففي اللغة الانجليزية يوجد 1120 طريقة للتعبير عن 40 صوتا، وفي اللغة الإيطالية يوجد 33 طريقة فقط للتعبير عن 25 صوتا، فالذين يتكلمون الانجليزية يستخدمون مناطق في المخ لا يستخدمها الإيطاليون))[1]، والشيء نفسه بالنسبة للغات الأوروبية الأخرى، فهي لغات تقوم على النحت، عدد أصواتها محدود وعدد طرق التعبير عن هذه الأصوات محدود أيضا، أما اللغة العربية فهي لغة اشتقاق (الاشتقاق الصغير والكبير والأكبر)[2]، إذا ارتبطت بالقرآن الكريم يصبح لديها ما لانهاية من الطرق للتعبير عن ما لا نهاية من الأصوات، وهذا ما تؤكده الآية الكريمة: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ**

1- كريس فريث: تكوين العقل كيف يخلق المخ عالمنا الذهني، تر:- شوقي جلال، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012م، ص46.

2- الاشتقاق هو الانتقال من الدلالة الطبيعية (الجذر الثلاثي) إلى الدلالة الوضعية، وهو ثلاثة أنواع؛ صغير وكبير وأكبر، وكل اشتقاق تضبطه قواعد دقيقة وضعها علماء اللغة وحددوا ضوابطها وقوانينها، راجع:- صبحي الصالح، م ن، ص174. كذلك صلاح الدين الزعبلاوي في ثلاثة مقالات: ((مذاهب وآراء حول نشوء اللغات)) و((تدرج المعاني)) والمقال المهم الذي خصصه للاشتقاق ((الاشتقاق))، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، العدد09، السنة الثالثة، دمشق، (محرم 1403هـ- أكتوبر 1982م)، يقول الزعبلاوي في هذا العدد: ((اللغة فصول تشابكت أواصرها وتوشجت عراها، وكان بينها رحما ماسة، فأنت إذا عرضت لمسألة في إحداها، أصارتك الحاجة إلى أن تذكي العين على ما يتصل بها من البحث في فصول من دوحتها، فتجعله منك على بال وذكر، ليبرح به خفاء ما عرضت له فينزاح غموضه وتحل رموزه.

من هذه الفصول فصل عقدته في هذه المجلة حول (نشوء اللغات) وآخر عقدته فيها حول (تدرج المعاني)، وهذا فصل في (الاشتقاق) يناط بهما وينتمي إليهما، فإذا انتظم عقد هذه الفصول وقد اشتبكت أسبابها وتمكنت أواصيها، كان بعضها ذريعة إلى جلاء ما قد يستغلق في بعضها الأخر، وسلما إلى فك مشكلة، وسببا إلى إيضاح منهاجه واستبانة وجهه.

وأنت إذا تأملت فصلنا هذا في (الاشتقاق) عرفت قرابة ما بينه وبين الفصلين السابقين، في غير كلفة أو عسر أو عناء)) فالاشتقاق هو نزع لفظ من لفظ ولو مجازا، بشرط مناسبتهما في المعنى واتفاقهما في الحروف الأصلية وترتيبها، ومغايرتهما في الصيغة حقيقة أو تقديرا، وهكذا تشترك مفردات كل مادة لغوية في حروفها الثلاثة وترتيبها، وتلتقي على معنى يشملها، ثم يفرد كل منها بصيغة ومبنى ودلالة خاصة، وقد أسموا هذا النوع من الاشتقاق بالاشتقاق الصغير، وبحثه كثير من المتقدمين؛ كالأصمعي وقطرب وأبي الحسن الأخفش والمبرد وابن خالويه، وبرع فيه أبو بكر بن دريد في كتابه "الاشتقاق" وأوغل فيه أحمد بن فارس في كتابه "فقه اللغة" المعروف بالصاحبي وكتاب "مقاييس اللغة".

((وجعل أئمة اللغة الاشتقاق نوعين آخرين هما الكبير والأكبر، فإذا كان شرط الاشتقاق الصغير؛ أن يكون بين اللفظين اتفاق في الحروف الأصول وترتيبها وتناسب في المعنى، فشرط الاشتقاق الكبير أن يكون بين اللفظين أو الألفاظ اتفاق في الحروف دون ترتيبها.

أما الاشتقاق الأكبر فحده؛ أن يكون بين اللفظين أو الألفاظ اتفاق في بعض الحروف وتقارب في الباقي، وقد جعلوا التقارب في مخرج الحروف خاصة وفي صفتها)) ص37-38.

رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: 109)، فيصبح التكوثر[1] خاصية أساسية من خصائص العقل، وقد غاب عن الشيخ الفاضل أن يصل بنا في تحليله إلى مفهومين؛ مفهوم خاص بالحوض المعرفي المسلم، ومفهوم خاص بالحوض المعرفي الغربي، وإن شاء بعد ذلك أن يقيم المقارنة، فيؤثل ما يمكن تأثيله ويستعير ما يمكن استعارته ويستبعد ما يمكن استبعاده.

ووصل في الأخير إلى صوغ معادلة التكامل المعرفي التي بينها فيما يلي: "الدلالة المقصودة في سياق حديثنا في هذا المقام، ترتبط بما أسميناه بمعادلة التكامل المعرفي التي تعني التكامل في ثلاثة مستويات متضايفة متلازمة هي:

-التكامل بين مصدري المعرفة؛ الوحي والوجود.

- التكامل بين أداتي المعرفة؛ العقل والحس.

- التكامل بين المصادر والأدوات.

وقد ارتبط هذا المفهوم بالجمع بين القراءتين؛ قراءة الوحي وقراءة الوجود، أو قراءة الكتاب المسطور وقراءة الكتاب المنظور.

وبصورة مباشرة نعني بالتكامل المعرفي في سياق مشروع إسلامية المعرفة، أو الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر؛

-امتلاك معرفة كافية بمبادئ الإسلام ومقاصده.

- منهجية مناسبة لتوظيف هذه المبادئ وهذه المقاصد.

- إعمال هذه المنهجية في فهم العلوم المعاصرة والتعامل معها.

- بناء شخصية إسلامية معاصرة تتصف بالتماسك والفاعلية.

- تمكين الأمة من الإسهام المتميز في الحضارة الإنسانية وترشيدها بهداية الوحي الإلاهي"[2].

إذن التكامل المعرفي في رأيي((هو حركة تركيب وتنسيق الشعب العلمية داخل الحوض المعرفي المسلم من خلال المراجعة الشاملة لهذه الشعب)) لأنها في الأصل متكاملة، شعب تندرج تحت مفهوم واحد هو العلم، لم يرد لفظ العلوم لا في القرآن ولا في السنة، وقد حصلت هذه الحركة المعرفية في تاريخنا كما ذكرت آنفا:

لا يمكن أن نفهم نشأة المنهج التجريبي في الطبيعيات[3] دون أن نعرف تطور الفقه والأصول.

1- التكوثر: ((هو وجدان الكثرة الممكنة تحت الوحدة الظاهرة)) فالعقل محدود وحتى يتجاوز حدوده يرتبط بالوحي عن طريق القلب فيتجدد على الدوام فيكتسب خاصية الفعل والقصد حتى يكون لفعله معنى، وإذا قصد يجب أن يطلب الفعل النافع، راجع:- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998م، ص18-19، هكذا تنبثق المفاهيم الصحيحة من حركة الفكر.

2- فتحي حسن ملكاوي: منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فرجينيا، و م أ، 2011م، ص291.

3- أنظر:- علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1، ط9، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص20-57.

كما لا يمكن أن نفهم النظريات السياسية والأحكام السلطانية دون أن نعرف تطور الفقه والأصول وكذلك العمران البشري والتطورات الاقتصادية...

لا يمكن أن نفهم تطور الفقه والأصول دون أن نفهم العمران البشري والحياة الاجتماعية ولا يمكن فهم هذه الأخيرة دون معرفة التاريخ فهو مادة للبحث في الظواهر الذاتية وغير الذاتية... ثم لا بد من معرفة اللغة العربية للنفاذ إلى أعماق المفاهيم النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والطبيعية... ففي اللغة العربية تراث المسلمين جميعا.

في أعماق اللغة وفي جوانب النحو فكرة الزمان الماضي والحاضر والمستقبل، فكرة العلية فكرة القياس العقلي النحوي، وفي إيجاز كل مقولات العقل المسلم ينبغي أن تستمد من أعماق اللغة والنحو والأصول، واللغة تتحقق فاعليتها وحركتها ضمن الدين لهذا يربط الشاطبي بين اللغة والشريعة: "إذا كانت الشريعة عربية فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم لأنهما سيان في النمط، ما عدا وجوه الإعجاز، فإذا فرضنا مبتدئًا في فهمِ العربية فهو مبتدئ في فهم الشَّريعة، أو متوسطًا فهو متوسطٌ في فهم الشريعة، والمتوسط لم يبلغْ درجةَ النهاية، فإذا انتهى إلى الغايةِ في العربية كان كذلك في الشَّريعة، فكان فهمه فيها حجة، كما كان فهمُ الصحابة وغيرهم من الفصحاءِ الذين فهموا القرآن حجةً، فمن لم يبلغ شأوهم، فقد نقصه من فهمِ الشريعة بمقدار التقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يكن حجة، ولا كان قوله مقبولاً"[1].

2-التكامل المعرفي في الحوض المعرفي الغربي

1-بدأ التكامل المعرفي في الغرب منذ القرن الثاني الميلادي حين تفطن (تورقيون)[2] إلى ضرورة الجمع بين العهد القديم والعهد الجديد، بعد المخاض الشديد والحروب الدامية التي عانتها الدول الغربية؛ الأوروبية والأمريكية؛ بعد أن تقاتل الفرنسيون فيما بينهم لسنوات طويلة، وبعد أن تقاتل الفرنسيون والألمان مائة عام، الحروب النابليونية..

بدأ التكامل المعرفي بعد أن تقاتلت الطوائف التي استوطنت أمريكا لسنوات طويلة، بعد أن تقاتلت القوميات البروسية في ألمانيا.. وبعد أن اكتشف الغرب في الأخير بأن هذه الحروب والإرهاب والثورات لا تجدي نفعا[3]، بل لا بد من التكامل، واتجه هذا التكامل وجهتين: تكامل جزئي ذري يتحكم فيه البراديغم الجزئي أو الذري الذي يخص كل دولة على حدا يمكن أن نصطلح عليه "التكامل المعرفي الوطني".

1- الشاطبي: الموافقات، ج5، ط1، دار بن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1997م، ص53.

2- أنظر:- علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، مرجع سابق، ص186 وما بعدها.

3- طالع:- وودي هولتون: الأمريكيون الجوامع وأصول الدستور الأمريكي، تر:- أبو يعرب المرزوقي، ط1، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث كلمة، أبو ضبي، (1431هـ-2010م)، وفكرة المؤتمر العظيم في فيلاديلفيا صيف 1787م، الذي تمخض عنه دستور أمريكا والدستور المضاد الذي يحميه، وكان سبب هذه الحركة التجميعية بين مختلف الولايات الأمريكية المتناحرة شخص مريض هزيل البنية هو (جيمس ماديسون الذي ((كان دودة كتب)) ص19.

وتكامل كلياني يتحكم فيه براديغم كلياني[1] يتجه نحو الحضارة يجمع الجهود من أجل أن يمسك بزمامها يمكن أن نصطلح عليه "التكامل المعرفي الحضاري بالطبع داخل الحوض المعرفي الغربي".

مثال: الفلاسفة الألمان جلهم كرسوا فكرهم لمشروعين مشروع توحيد القوميات البروسية (ألمانيا) وإسقاط جدار العار، ومشروع مساندة الفكر الغربي (القومية الصهيونية) في توجيه الحضارة الإنسانية والشيء نفسه بالنسبة للدول الغربية الأخرى.

2-المصطلح المركب "فلسفة العلوم" هو دعوة للتكامل المعرفي بين العلوم التي ولدتها الفلسفة، فبعد أن كبرت وبلغت سن الرشد عجزت عن حل مشاكلها فظهر عندها الحنين للرجوع إلى الأم لكي تعيد احتضانها وأن تحل مشاكلها من جديد.

3-المصطلح المركب تاريخ العلوم هو جهد جبار من أجل البحث عن الخط الرابط بين مختلف العلوم (جورج سارتون – بيير دوييم الفيزيائي الفرنسي في كتابه "نظام العالم"، مدرسة شيكاغو للبناء الحضاري، روبرت أغروس، جورج ستانسيو، إيدوارد ويلسون في كتابه "وحدة وتناسق المعرفة، بل أن جهود كل الفلاسفة الغربيين نجد فيها بعدين بعد تكاملي وطني وبعد تكاملي مع الدول الأخرى يهدف إلى الإمساك بزمام الحضارة..)

المنطق الفوقي: هو سبيل آخر للتكامل المعرفي في الحوض المعرفي الغربي.

التكامل المعرفي والعولمة الكيانية[2]: العولمة لا تستقيم إلا بتلاوة الآية الأخيرة من إنجيلها بتأسيس حكومة عالمية هي اليوم في حكم ما هو قائم بالفعل وحتى أن تظهر للناس وهي مكتملة الشرعية يجب أن يكون لها غطاء معرفي هو التكامل المعرفي بعد التحكم في العملة والنقد (صندوق النقد الدولي وبنك المقاصة..) والتحكم في السيادة على الإقليم (المنظمة العالمية للطيران...).. يقول سعيد عيادي: ((ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية- وهو الموطن القومي لليهود بعد هجرتهم من الأندلس إلى ألمانيا ومنها إلى أمريكا "طه عبد الرحمن: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، ص63- منذ ثمانينيات القرن الماضي اتجاها نظريا يقف وراءه مجموعة من علماء الاجتماع والمستقبليات وخبراء مراكز الدراسات الإستراتيجية، وصار يصطلح على تسمية هذا الاتجاه بمدرسة شيكاغو للبناء الحضاري، والتي تقوم بإعداد وتطوير دراسات حول التكامل والتعاضد المتساند بين الحضارات))[3].

وقد قامت الحركة الصهيونية بزرع متناقضة في كيان كل دولة تخالفها في العقيدة، تجعلها في حالة عدم استقرار، تتهددها الأزمة والفوضى لكنها تتغذى منها، فوضى منظمة؛ الجميع ناقم عليها والجميع راض عنها،

1- راجع في هذه الفكرة الدراسات التي قام بها عالم الاجتماع الفرنسي (رونالد فيفركورن)، و(لويس دومون) (Luis Dumont) في تحليله للأنظمة التامية.

2- يميز طه عبد الرحمن بين العولمة الكيانية والعولمة السياسية ويحدد لكل واحدة خصائصها راجع:- الحق العربي في الختلاف الفلسفي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002م، ص52.

3- سعيد عيادي: آليات إعادة البناء الحضاري للإنسان والمجتمع، د ط، دار المعاصرة للنشر والتوزيع، المحمدية الجزائر، 2009م، ص9.

الجميع ينتقدها والجميع يمارسها في الوقت نفسه ((والتخلف ليس فقط ناتج عن التأخر، إنه ناتج عن عملية إنشاء عنيفة لنموذج غربي للتقدم خارج الشروط التاريخية والثقافية والتقنية التي كانت تنتمي إلى التقدم الغربي ذاته... فأنتج ليس فقط الضيق والضجر بل أيضا فقر سيكولوجي وأخلاقي وعقلي))[1] إنه توجيه الصهيونية لحركة العلم والتاريخ.

المبحث الثاني: أسباب التشتت المعرفي في حوضنا المعرفي المسلم

1-اختلاف العقيدة بين الحوضين المعرفيين المسلم والغربي

قال الله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة: 145).

لقد حصل في التاريخ أن انجرت فئة من أمتنا إلى الفلسفة اليونانية، وأخذتها كما هي، فانحرفت بالعقائد المسلمة عن الجادة، وقد أدرك علماء الكلام يمثلهم المعتزلة أول الأمر، مدى الهوة السحيقة بين عناصر هذه الفلسفة وبين عقائد الإسلام.

بدأ النزاع بين علماء الكلام والفلاسفة المسلمين، ثم تحول إلى الفلسفة اليونانية ذاتها.

تمخض المذهب الأشعري ممثلا للإسلام، وقام رجال الأشاعرة كالباقلاني وإمام الحرمين الجويني بحسم هذا الجدل.

التوحيد في الحوض المعرفي المسلم يجعل العلاقة بين الله والإنسان علاقة مباشرة لا تحكمها وسائط، أما في الحوض المعرفي الغربي فتحكمها وسائط، وهذا هو الخلل الذي لم يدركه الفلاسفة المسلمون الأوائل الكندي وابن سينا والفارابي وابن رشد وأبوبكر البغدادي وابن طفيل وغيرهم، فقد أخذوا الفلسفة والمنطق الأرسطي دون فحص أصولها العقدية فوقعوا فيما وقعوا فيه، وأدى انحرافهم إلى ظهور الفرق الكلامية بزعامة المعتزلة في البداية، ثم توالى ظهور الفرق الأخرى، إلى أن كرس الله سبحانه وتعالى من يعيد بناء هذه الأمة؛ الشاطبي والشافعي وابن تيمية وأبوبكر الباقلاني وإمام الحرمين، وأبن القيم، وغيرهم كثير، الذين أفضت حركتهم العلمية التحليلية التركيبية التنسيقية إلى إنتاج أهم شيء في الحضارة الإنسانية وهو المنهج العلمي الاستقرائي.

2-اختلاف المفاهيم بين الحوضين المعرفيين المسلم والغربي

أهم ما أنتجه الفكر اليوناني أمرين: تفريع مجالات المعرفة والمنطق الأرسطي، لقد تفطن علماؤنا الذين حاولوا إعادة بناء الحوض المعرفي المسلم والرؤية التوحيدية إلى خطورة التصور اليوناني الذي انطلق من وجود علاقة بين الخالق والمخلوق، وأدركوا بعمق وجدانهم بلبلة المفاهيم التي حصلت في حوضنا المعرفي نتيجة دخول المفاهيم اليونانية والغنوصية، فهناك اختلاف جذري في المفاهيم؛ مفهوم الحد، ومفهوم التصور، مفهوم القضية الكلية...

1- جاك لندن: العقب الحديدية رواية عقائدية اشتراكية، تر:- منير البعلبكي، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، ص30.

-الاختلاف في المبادئ التي ينطلق منها العقل؛ مفهوم الجوهر الثابت...

-الاختلاف في مفهوم القياس؛ أرسطو ينطلق من حكم كلي إلى أحكام جزئية والصدق صوري، المسلمون ينطلقون من جزئية إلى جزئية أخرى بوجود جامع بينهما بواسطة تحقيق علمي دقيق والصدق صوري وواقعي يقول محمد بن علي الشوكاني بعد أن عرض عدة تعريفات للقياس: ((وأحسن ما يقال في حده: استخراج مثل حكم المذكور، لما لم يذكر، بجامع بينهما، فتأمل هذا تجده صوابا إنشاء الله))[1]، ومن هذا المنطلق جاء الاستقراء التجريبي والسبر والتقسيم..

-علماء الأصول أرجعوا قياسهم "قياس الغائب على الشاهد" إلى قانونين (قانون العلية وقانون اطراد الحوادث) يتفرعان إلى أربعة قواعد: (**اطراد العلة، أن تكون العلة منعكسة، الدوران، تنقيح المناط**) وهذه القواعد الأربعة ظهرت فيما بعد عند الانجليزي "ج س ميل"، وأسس عليه قواعد الاستقراء التجريبي والمنطق المادي وهو سبب نهضة الغرب العلمية، ويبدو أن جون ستيوارت ميل وصله ما كتب الإمام الشوكاني في "**إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**" وما كتبه الإمام القرافي "**نفائس الأصول في شرح المحصول**"، يقول الإمام القرافي: ((الدورانات عين التجربة وقد تكثر التجربة فتفيد القطع وقد لا تصل إلى ذلك))[2].

كما اخذ ديكارت الكوجيتو وقواعد المنهج من أبي حامد الغزالي، وكما أخذ دافيد هيوم قانون العلية من علماء الأصول.

والكل يعرف حركة نقل العلوم من طريق صيقلية وطليطلة إلى أوروبا خاصة السربون وأكسفورد، ودور روجير بيكون وفرونسيس بيكون وجون ستيوارت ميل في ذلك، ((وقد زاغ قلم هذا الأخير يجرح المصطفى صلى الله عليه وسلم تعبيرا عن حقد ومرارة في نفسه لأنه كان ناقلا)) (سامي النشار) في كتابه (**نظام المنطق**).

فالعلاقة بين الأحواض المعرفية هي علاقة استعارة وأحيانا سرقة وليست علاقة تكامل.

إذن ما حصل في الماضي يحصل الآن، فالتداخل بين حوضنا المعرفي، والحوض المعرفي الغربي أضر بمفاهيمنا، لأن هناك اختلاف جذري في المفاهيم ناتج عن اختلاف العقائد، وهذه المفاهيم تتخذ شكلا هرميا:

1-المفاهيم المظلة.

2-المفاهيم الوسطى.

3-المفاهيم الفرعية.

مفهوم التوحيد، مفهوم العقل، مفهوم الإنسان....

لماذا فشل الفلاسفة المسلمين في إنتاج فلسفة خاصة بحوضهم المعرفي خاصة في بداية حياتهم الفكرية؟ لأنهم أخذوا المنهج الأرسطي كما هو (الفلسفة والمنطق)= الإبداع.

1-محمد بن علي الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح: أبي حفص سامي بن العربي الأثري، ج1، ط1،دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، (1421هـ-2000م)، ص841.

2- القرافي: نفائس الأصول في شرح المحصول، دط، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، د ت، ص613.

-دخول مصطلح التصوف حرف أهم وظيفة وهي العبادة عن مسارها الصحيح حيث وفدت إليه مفاهيم من الفيدا الهندية والاشراقية الفارسية ونظرية الفيض الأفلوطينية وفلسفة أفلاطون وأرسطو والمجموعات الهرمسية والغنوصية.

-عقائد الشيعة خليط من آراء كبالا اليهود والمسيحية والمزدكية والديصانية والمانوية[1].

-الغرب اكتشف الحوض المعرفي المسلم في مرحلتين من تاريخه:

المرحلة الأولى: من ق9م إلى ق15م حيث ترجم فيها منتجات هذا الحوض من أجل إثراء ثقافته بالطريقة التي أتاحت له فعلا تلك الخطوات الموفقة التي هدته إلى حركة النهضة.

والمرحلة الثانية: بداية من ق15 وهي المرحلة التي بدأ فيها الاستلاب (الاستدمار).

-العلم في حوضنا المعرفي غير محدود وواحد في ذاته متشعب إلى شعب لا حصر لها، لأن العقل محدود لكن إذا ارتبط بالغيب يتكوثر، فيكون دائم المراجعة للشعب العلمية ودائم التشعيب لأن المرجع واحد هو التوحيد فكلما تشعبت كانت أكثر تكاملا وترابطا والدليل (مقدمة ابن خلدون).

أما العلم في الحوض المعرفي الغربي فهو محدود يتعدد ويتجزأ كلما كبرت كتلته وتنفصل أجزاؤه عن بعضها منهجا ومفهوما، فالعلوم تتراكم لهذا فالعقل الغربي يقوم بالصيانة والزيادة وكلما كبرت الكتلة تجزأت أكثر، وكلما تجزأت أكثر صعب التحكم فيها والربط بين أجزائها.

3-نقص التنشئة الدينية والعقدية في مجتمعات الأمة المسلمة

نقص التنشئة العقدية والدينية في مجتمعنا الجزائري وفي العالم المسلم، حيث يكبر الشباب وهم لا يعرفون عقيدتهم ودينهم، ويصلون إلى الجامعة ويتصلون بمختلف العلوم التي نقلت بمفاهيمها وأبعادها الفلسفية ومرجعياتها الدينية، وهم لا يملكون ملكة فرز المفاهيم لأنهم غير محصنين عقديا، فيقع لهم الخلط والانحراف، فما نراه في الواقع من سلوكات هو في الحقيقة انعكاس للمفاهيم والثقافات التي تراكمت في وجدانهم، هذا ناهيك عن الشابكة الرقمية والهواتف الذكية والمحطات التلفزية...

الخواء العقدي الذي نتج عن عدم التنشئة العقدية، جعل الشباب يخضع لتنشئة أخرى عن طريق الوسائل الرقمية والشابكة العنكبوتية، تنشئة لا يعلمها إلا الذي يتحكم في هذه الوسائل، مما أنتج خليط من العقائد تحول إلى خليط من المفاهيم، تحول بدوره إلى خليط من السلوكات.

4-الأوهام التي قذفها الغرب في عقولنا وقلوبنا وصدقناها حتى أصبحت مسلمات

1-العلم موضوعي وحيادي ولا هوية له لأنه يخضع لمنهج علمي تجريبي يمكن التحقق منه ومن هنا جاء تقسيم العلوم إلى إسلامية وغير إسلامية.

1- أنظر:- علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، مرجع سابق، ص186 وما بعدها.

2-العلم بالمفهوم الغربي هو السبيل الوحيد للتقدم والنهضة، ومن أراد أن يلحق بركب الحضارة عليه أن يتجرد من الدين ويسلك سبيل العلم لأنه حيادي ولا هوية له.

3-التفكير الغربي بما أنه علمي موضوعي فهو تفكير كوني إنساني، وما علينا إلا إتباع هذا الفكر.

4-أوهمنا بأننا لا نستطيع وأن لا قيمة لفكرنا، زرع فينا مركب النقص ((القابلية للاستعمار)) (مالك بن نبي)، فصلنا عن عقيدتنا ثم عن تاريخنا ثم عن جغرافيتنا ثم فصلنا حتى عن ذواتنا، فأصبحنا لا نحترم بعضنا البعض بل لا نحترم حتى ذواتنا.

5-هيمنة البراديغم الغربي: الغرب خاض حروبا مريرة حتى وصل إلى هذه الحالة من الاستقرار العقدي من خلال الاتفاق على كتاب مقدس يتضمن العهد القديم المتمثل في التوراة والعهد الجديد المتمثل في الأناجيل الأربعة (متا يوحنا مرقس ولوقا) أما إنجيل برنابا فقد حذف نظرا لأنه يتكون من 150 قضية تتفق والقرآن الكريم، وحين استقر به الأمر وأمسك بزمام الحضارة، فهو سعى ويسعى جاهدا لمحو العقائد الثلاثة الأخرى التي ذكرها القرآن الكريم (الإسلام والمجوسية والذين أشركوا) والحقيقة أن عدوه اللدود العقيدة المسلمة.

المبحث الثالث: آليات تشغيل التكامل المعرفي

1-المنطق كآلية من آليات تشغيل التكامل المعرفي بين الشعب العلمية داخل الحق المعرفي (الشعب العلمية المتعلقة بالوسائل والآلة والشعب العلمية المتعلقة بالمقاصد والغايات) لأن المنطق يُعلّم: اختراع المفاهيم وتوليد المصطلحات بيان الفروق بين الشعب العلمية والبحث عن العلاقات، صوغ المبادئ وضع القواعد ترتيب القوانين تصحيح الآراء والمفاهيم استخلاص النتائج.

2-مفهوم العلم في الحوض المعرفي المسلم يقتضي الخصائص التالية: أنه غير محدود، وبما أنه بهذه الخاصية فهو يتشعب ولا يتجزأ، (في الحوض المعرفي الغربي نظرية التراكم المعرفي التي تقوم على الصيانة والزيادة "بوبر-لاكتوس- كولينجود"

بينما عندنا نظرية أخرى هي التكوثر العقلي الذي يقوم على المراجعة والتشعيب طه عبد الرحمن، وإذا شئنا أن نكامل نقوم بالمراجعة (مراجعة المفاهيم المصطلحات المبادئ الدعاوى المناهج الأدلة....) نكشف عن الثقافات التي كونت دائرة المعارف في حوضنا المعرفي. فالعلم واحد له شعب متعددة. (شعب علوم الآلة والوسائل وشعب المقاصد والغايات الدينية والإنسانية والكونية).

3-الأخلاق عنصر أساسي من عناصر تشغيل مفهوم التكامل المعرفي: كل الشعب العلمية داخل الحوض المعرفي تشترك في وجود معاني رقيقة ذات طابع خلقي عميق وهذا هو لب القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، فالتأليف بين القلوب وربط الإنسان بالتاريخ والجغرافيا هو جوهر التكامل المعرفي.

4-تحويل التكامل المعرفي إلى مؤسسة: وهذا هو الجهد الكبير الذي قام به المعهد العالمي للفكر المسلم بناء الجامعات وعقد المؤتمرات وبناء المؤسسات والمراكز البحثية من أجل إعادة بناء مفهوم العلم وبالتالي ربطه بالتوحيد وتوجيهه بما يتوافق والثقافة المسلمة.

5-السلطة هي من أهم الآليات التي يمكن أن تحقق التكامل المعرفي، وذلك عن طريق: التنشئة العقدية للشباب، وعن طريق بناء مؤسسات ومراكز بحث تشترك فيها جميع الشعب العلمية لبحث المفاهيم والمناهج والآليات المشتركة، وسبل التلاقح وسبل استفادة الشعب العلمية من بعضها البعض، فمن تكامل المعرفة أن نجد الطبيب مثلا يدرس الفيزياء كما يدرس العقيدة والأدب واللغة... كما يجب على الأديب أن يدرس الرياضيات والفيزياء والطب... أو على الأقل تكون هناك فرق بحثية ومخابر تجمع كل التخصصات الدقيقة في دراسة المشاريع البحثية..

الخاتمة

في ختام هذا البحث نصل إلى النتائج التالية:

إن مفهوم العلم في الثقافة المسلمة يحمل في طياته المعاني التالية: التكامل والتكميل، التآلف والتأليف، التتام والتتميم، التَّمثُّل والتمثيل، التقارب والتقريب، الوحدة والتوحيد، الحقيقة والتحقيق، المصداقية والتصديق، الاستقصاء والاستعارة، التماس والتلاقي، الاختبار، الصبر، المشقة، ..

لهذا فإن المصطلح المركب "التكامل المعرفي" هو من قبيل التطويل في الكلام إذا رجعنا إلى مفهوم المعرفة والعلم في العربية والتداول الإسلامي، إذ يكفي استعمال مصطلح العلم وشعب العلم، لأنه يتضمن المعاني الواردة أعلاه.

وإذا شئنا أن نعرف مصطلح "التكامل المعرفي" الذي يبدو أنه مستعار من الحوض المعرفي الغربي، فهو حركة تركيب وتنسيق الشعب العلمية داخل الحوض المعرفي المسلم، من خلال تفعيل العلاقة بين الإنسان والغيب، ثم بين الإنسان ونفسه ثم بين الإنسان والكون والمجتمع.

إن تفعيل مصطلح العلم وتشغيله يقتضي تشغيل كافة الدلالات المتضمنة في مفهومه.

إن مفهوم العلم في الثقافة غير المسلمة يحمل في طياته المعاني التالية: التفاضل، التجزيء، التشتيت، الحصر، الانغلاق، التقوقع، التخصيص، التفريق، التمييز... وقد أفضت هذه المفاهيم إلى ما سمي بالحداثة، التي شعر الغرب أنها أضرت به فلجا إلى التكامل المعرفي كمشروع يتغيا من خلاله ما أسماه بما بعد الحداثة.

كل الشعب العلمية في العلم داخل الحوض المعرفي للأمة المسلمة تشترك في وجود معان رقيقة ذات طابع خلقي عميق، وهذا هو لب القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة "إنما بعثت لتمم مكارم الأخلاق".

لا يمكن فهم نشأة الاستقراء التجريبي في الطبيعيات عند المسلمين دون أن نعرف نشأة وتطور علم الأصول.

ولا يمكن أن نفهم النظريات السياسية (الأحكام السلطانية مثلا..) بدون أن نعرف الفقه وتطوره.

لا يمكن أن نفهم كيف تطور علم أصول الفقه وعلم الأصول دون أن نفهم كيف تطور العمران البشري "الحياة الاجتماعية".

لا يمكن معرفة العمران البشري إلا بمعرفة التاريخ فهو مادة للبحث في الظواهر الذاتية وغير الذاتية.

وفهم التاريخ وتفسيره يقود إلى تصور أعماق ما اختلج في وجدان المسلمين ونفسيتهم، كما يقود إلى تكوين صورة ناضجة عن حياتهم العمرانية.

كل هذه الشعب العلمية ولدت في أحضان اللغة العربية، وفي أعماق هذه اللغة وفي جوانب النحو فكرة الزمان الماضي والحاضر والمستقبل، وفكرة العلية، وفكرة القياس العقلي النحوي، وفي إيجاز؛ كل مقولات العقل الإسلامي إنما ينبغي أن تستمد في أعماق النحو واللغة.

علم السلوك والتزكية طبق منهج الإشارة والدلالة على أجزاء النحو المختلفة وقاد إلى نظرية في المعرفة.

العلاقة بين الأحواض المعرفية ليست علاقة تكامل بل هي علاقة استعارة.

هذا والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الصحاح خاصة صحيح البخاري ومسلم

ابن تيمية: مجموع الفتاوى "مفصل الاعتقاد".

ابن منظور: لسان العرب، دط، دار المعارف، القاهرة، دت.

ابن كثير: تفسير القرآن العظيم.

الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية.

مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، دط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، (1403هـ-1983م).

علي بن محمد بن علي الجرجاني: كتاب التعريفات، ط ج، دار الكتاب العربي، بيروت، (1423هـ-2002م).

محمد علي الفاروقي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ط1، تح؛ علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م.

محمد أبو القاسم حاج حمد: منهجية القرآن المعرفية، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2003م.

علاء طاهر: مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماز، ط1، مركز الإنماء القومي، بيروت، دت.

فتحي حسن ملكاوي: منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فرجينيا، و م أ، 2011م.

زكي الميلاد: التكامل المعرفي بين العلوم في رؤية علماء الطبيعيات المسلمين، "مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث"، المجلد6، العدد22، 2010.

كريس فريث: تكوين العقل كيف يخلق المخ عالمنا الذهني، تر:- شوقي جلال، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012م.

طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998م.

محمد سعيد رمضان البوطي: العلم الحديث ومعرفة الغيب، مجلة حراء، العدد12، السنة3، (أيلول/سبتمبر)2008م، تركيا.

صلاح الدين الزعبلاوي: ((الاشتقاق))، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، العدد09، السنة الثالثة، دمشق، (محرم 1403هـ- أكتوبر 1982م).

طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998م.

علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1، ط9، دار المعارف، القاهرة، د ت.

الشاطبي: الموافقات، ج5، ط1، دار بن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1997م.

وودي هولتون: الأمريكيون الجوامع وأصول الدستور الأمريكي، تر:- أبو يعرب المرزوقي، ط1، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث كلمة، أبو ضبي، (1431هـ-2010م).

طه عبد الرحمن: الحق العربي في الختلاف الفلسفي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002م.

سعيد عيادي: آليات إعادة البناء الحضاري للإنسان والمجتمع، د ط، دار المعاصرة للنشر والتوزيع، المحمدية الجزائر، 2009م.

جاك لندن: العقب الحديدية رواية عقائدية اشتراكية، تر:- منير البعلبكي، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.

محمد بن علي الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح: أبي حفص سامي بن العربي الأثري، ج1، ط1،دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، (1421هـ-2000م).

1- القرافي: نفائس الأصول في شرح المحصول، دط، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، د ت.